مجلة المرابط

العدد : ١٩٧ الموافق في ذو القعدة ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/٣ ميلادي

| عنوان المقال : وضع الاستشراق الآن – تنبيه وتحذير | بقلم : يسري عبد الغني |
|---|---|

يحاول بعض من أحسن الظن بالمستشرقين والاستشراق أن يوهموننا كباحثين وقراء بأن المستشرقين قد غيروا الآن من وجهة نظرهم المتعصبة ، وأنهم قد غيروا مناهجهم غير العلمية في بحث الموضوعات الإسلامية ، ويحاولون الآن دراسة الإسلام بموضوعية ، وأن الحساسيات الدينية التي دفعتهم إلى التعصب لا وجود لها الآن في عصر « الكونية » و « العولمة » ، إلى غير ذلك مما يقولونه ويكتبونه ، ولكننا نلاحظ انهيار كل هذه الدفاعات حين نذكر الحقائق التالية :

**أولاً** : إن الاستشراق ليس حركة علمية بحتة ، وإنما هو في المقام الأول حركة استعمارية منظمة (جداً) يعتمد على الدعم المالي من قبل الحكومات الغربية ، وهي بلا شك تمارس ضغوطاً معينة من أجل توجيه أبحاث المستشرقين لخدمة مصالحهم في عالمنا الإسلامي.

وهذا ما يعترف به صراحة أحد المستشرقين حين يقول : « هناك أيضاً الضغط المالي من قبل أولئك الذين يقدمون الأموال لدعم النتائج التي تؤدي إلى احتواء العالم الإسلامي ، والتشبث به باعتباره منطقة اضطراب حيث تكمن اهتمامات الغرب ومصالحه » .

ولهذا يرى استاذنا الدكتور محمد محمد حسين : إن تمجيد الإسلام في كتب بعض المستشرقين يقصد به خلق جو من الاطمئنان إلى نزاهة الفكر الغربي من ناحية ، ومقابلة هذه المجاملة من جانب المستشرقين بمجاملة مثلها من جانب المسلمين للقيم الغربية .

وذلك ما نلاحظه في إشادة (كالغرلي) - أحد قادة الاستشراق - بالكتاب الذي ألفه (أربري) في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعرض فيه نواحي الامتياز في الآداب الشرقية ، فهو يرى أن هذا العمل : « نوع من رد الاعتبار للشعوب الإسلامية وثقافتها التي كانت محلاً للانتقاص ، وسوء الفهم في بلاد الغرب ، وبالرغم من أن هذه الكتب في واقع الأمر نوع من الدعاية التي يقصد بها خلق جو من التفاهم بين المسلمين والأوروبيين ، فإنها لا شك تذكر معلومات صحيحة وعادلة ، كان ينبغي أن تعرف عن المسلمين منذ عهد طويل » .

ففي ضوء هذه الحقائق ينبغي أن نقيم أعمال المستشرقين ، حتى هؤلاء الذين أنصفوا في معالجة القضايا الإسلامية ، فلم يكن هدف بعضهم ذكر الحقيقة المجردة - للحقيقة نفسها - بقدر ما كان همهم الأول مد جسور التفاهم مع المفكرين المسلمين ، في محاولة للتعاون من أجل تحقيق أغراض الاستشراق

بصورة أو بأخرى .

**ثانياً** : إن الأحقاد الدينية على الإسلام لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينساها المستشرقون مهما كانت موضوعيتهم ، وخصوصاً أن معظمهم - كما نعرف - من القسس ورجال الدين .

ويعلق الدكتور محمد زقزوق على ذلك بقوله : « قد يكون صحيحاً القول بأن ألوان التحامل القديم على الإسلام قد خفت حدتها إلى درجة كبيرة منذ مطلع هذا القرن (القرن العشرين) ، ولكنها للأسف الشديد لا تزال قوية ، ولا تزال هناك فئة من الباحثين الغربيين المهتمين بدراسة الإسلام تحرص حتى يومنا هذا على نشر ألوان التحامل القديم في العالم الغربي على نطاق واسع وبأساليب مختلفة » .

ولهذه الشهادة قيمتها ووجاهتها حيث أن صاحبها قد خبر المستشرقين فكرياً وعملياً ولا يزال على صلة فكرية بهم . فعلينا إذن ألا ننخدع بما يقوله المدافعون عن الاستشراق والمستشرقين الآن ، فهو لا يزال حتى هذه اللحظات باقياً حياً بآثاره التي خلقها في وسائل الإعلام والتي نراها صباحاً ومساءً .

ونقول إن التبشير ما يزال باقياً هو الآخر بأهدافه وبأساليبه حتى الآن ، ولعل القارئ يعي جيداً هذه الأساليب الخبيثة التي انبثقت من التبشير والاستشراق ، والتي يحارب بها المسلمون في واقعهم الراهن .

ولعل أخطر هذه الأساليب قاطبة هو إحياء القوميات والنزعات العرقية في العالم الإسلامي من أجل القضاء على وحدة المسلمين وتحويلهم إلى غثاء السيل ، حتى تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها .

المراجع :


- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام / د. سعد الدين السيد صالح ، القاهرة ١٩٨٩م .
- المستشرقون ومشكلات الحضارة / د. عفاف صبره .
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / د. محمود زقزوق ، قطر .
- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية / د. إبراهيم خليل أحمد ، القاهرة.
- دفاع عن العقيدة والشريعة / الشيخ محمد الغزالي ، القاهرة ١٩٧٥م .
- المستشرقون والإسلام / إبراهيم اللبان ، ملحق بمجلة الأزهر .